

٥٩٠٣
١٢٣١ هـ

فصل علم السلف

على طائف
تأليف

إمام الأئمة بقبية السلف وودده
الطائف زبده السلف ابن الفرج عبد الرحمن
ابن شهاب السلف بن محمد بن عبد النبي

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الجمعية الشرعية الاسلامية

(حقوق الطبع محفوظة لها)

يطلب من المكتبة المحمودية التجارية

لصاحبها ومديرها : محمود علي صبيح

الكائن مركزها العمومي بميدان الازهر الشريف بمصر

* المطبعة المحمودية التجارية بمصر *

في نوبة صوره مجنون
التي العونية الصفه
١٤٠٠

فضل علم السلف

على الحلف

للامام الاصولي الحافظ الفقيه أبي الفرج زين الدين
عبد الرحمن بن احمد الشهير بابن رجب البغدادي
الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

مؤلف	مجلد	العدد
الرقم العام	١٤٠١١٥	١
الرقم	١	١
التاريخ		

عنيت، بشره وتصحيحه والتعليق عليه الجمعية الشرعية الاسلامية

﴿حقوق الطبع محفوظة لها﴾

طبع

بالمطبعة المحمودية التجارية الكبرى

لمصاحبها محمود علي صبيح بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المؤلف رحمه الله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
وسجده أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

(أما بعد) فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم وانقسامه إلى علم نافع (١)
وعلم غير نافع. والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فتقول
وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع
وتارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع. فأما الأول فمثل قوله تعالى
(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله (شهد الله أنه لا
إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) وقوله (وقل رب زدني
علماً) وقوله (أما يعنى الله من عباده العلماء) وما قص سبحانه من قصة
آدم (٢) وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم (سيحانك لا علم

(١) المراد بالعلم النافع العلم المحفوظ بالعدل. وبه يكلف العالم به من يكون
أفضل العلم المحفوظ عن السبل. والأقوال المدح في قصة على كل أحيائه بدليل
قول الله سبحانه وأولو العلم.

(٢) وحاصل القصة أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل خليفة في الأرض
من أئمة الدين أئمة فاستعملوا ذلك في قلوبهم لما علموا من سوء أفعال
الباطنيين. وشأن النفس اتباع الشهوة والهوى. فقالوا (أجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أي نحن لاستعدادنا الأولى

لنا إلا ما علمنا أنك أدت العليم الحكيم) وما قصه سبحانه وتعالى من
قصة موسى عليه السلام (١) وقوله الخضر (هل اتبعك على أن تعلمني

الخلقي فينا النكابة اطاعتك. فأراد المولى تعالى ذكره أن يبين لهم خطأ اعتبارهم
فقال (لبي أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء) التي يخفى على الملائكة عليها
وعرض مسياتها عليهم قال (أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) مما اختلج
في خواطرهم (قلوا سيحانك لا علم لنا إلا ما علمنا) اعترفوا بالعجز لتصورهم
عن معرفة الأسماء على ما بلغ وجهه فأمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يقرأهم بذلك
إظهاراً لشرف العلم وقضه فأخبرهم بأسماء تلك المسيات فتعجب السبعة منهم
ورجعوا إلى التسليم وتمريض أمر تلك إلى المولى جل وعلا. وبذلك تعلم أن
لا شرف بوازي شرف العلم أو مقامه. وأخفى بالعلم العلم النافع الذي تظهر
ثمرته بالمتصف به حقيقة لا ادعاء وقضا الله وإياك إلى العلم والعمل به.

(١) وحاصلها على ما ورد في الصحيحين وغيرهما أن نبي الله موسى عليه
السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فقلل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم من مقام
النبي والرسالة وأنه اختص بالوحي إلى قومه وتبلغ الرسالة. فغضب الله تعالى
عليه إذ لم يزد الله سبحانه وأوحى الله إليه أن في جدار هو أعلم منك بجميع
البحرين. وهما بحر فارس والروم عن ما رواه محمد بن قتادة وغيرهما وأول ما أراد
مكأن جرب فيه التنازعها والافتقار لا يثقان إلا في البحر المحفوظ فذهب موسى
ومعه قتاده فلما جمع البحرين نسي البحر الموت الذي جعل فقدانه أملاً وجداراً
مطلوباً موسى عليه السلام الخ ما قص الله في كتابه على رسوله صلى الله عليه
وآله وسلم. ثم إن الاختيار في ذلك ظاهرة في أن القيد الذي أرشد إليه موسى
عليه السلام كان أعلم منه. والذي ذهب إليه الجمهور أنه الخضر. ويستفاد من
انكار موسى عليه السلام على الخضر بعدما تأقده على الضرر وعدم الاعتراض
والعصيان عليه وتوبيخه علم ذلك إليه أن الأشياء التي تخالف علم الإنسان المنقول

ما علمت رشداً (١) فهذا هو العلم النافع

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم عليهم . فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به . قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمل يحمل أسفارا) (٢) وقال (واتل عليهم

عن الشريعة يجب المبادرة إلى انكارها والبحث عن مستنداتها ومصدرها ولا تسلم لها عليها أبداً ولو كان أعلم أهل زمانه وأبلغ عصره وأقرأه وأصلح وقته . وبهذا تعلم سقوط ما في كلام بعض المتصوفة القائل بأن الشيخ المرقى يسلم له حاله أي لا يعترض عليه ولا يوجه نحوه سؤال إذا فعل فعلاً أو قل قولاً بخلاف ظاهر الكتاب والسنة والعمل المنقول عن صاحب الشريعة المظهرة . ولو سلم ذلك لمصلحة الشريعة . ولجعل العمل بالمزوى . ولجعل كل بحسب رأيه وهواه . وما كان هناك قانون كلي يرجع إليه . ولغاير قوله تعالى (فإن تازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

(١) فيما قص الله سبحانه وتعالى من نأ موسى مع الخضر إرشاد المتعلم لأنابه مع من جليله وفضل العلم حيث سماه الله رحمة ولسه إلى نفسه تفضيلاً وتسريراً

(٢) مثل الله جن ذكره حال الذين أوتوا التوراة والإنجيل من اليهود وحفظوها ثم لم يعملوا بما فيها ولا اتبعوا بأياتها من التصديق رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه ونصرة دينه والاعتقاد بأقواله وأفعاله بإخبار يحصل على ظهره أسفاراً أي كتباً من العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما فيها بل ينشئ بها ولا يدرى منها إلا ما يترجم عليه ويظهر من الكذب والتعصب . ومثلهم من أوتى القرآن والسنة ولم يعمل بها ونشئ مثلاً منهم وتخصيص أخبار بالتشبيه به لانه أقل الحيوانات رغبة في لفقة الانتفاع به وفي الامثال العربية هو الخيل من جوف حمار قال الشاعر :

تباً (١) الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (وقال تعالى (تخلف من بعدهم خلوف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق وذرهم ما فيه والندار الآخرة خير للذين يتقون) (٢) الآية وقال (وأصله الله على علم) على تأويل من تأول الآية على علم عند من أحسن الله

زوامل أسفار ولا علم عدم يحيدوه إلا كعلم الأياض
أعبرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساته أو راح ما في الغرير
والبعير من أسفار أسفار على ما نقل عن ابن خالويه

(١) أي ولذكر يا محمد ﷺ لقومك غيره الذي له شأن وخطر قيل انه بلغهم بن بأهواء على ما رواه ابن عباس . وكان من العباد في بني اسرائيل وهو الانسب بالمقام . وقد أوتى علماً بعض الكتب السماوية فوسوس إليه الشيطان فكفر بها ونبذها وراء ظهره ولا يخفى على المتأمل ما في قوله تعالى (فأتبعه الشيطان) من المبالغة . إذ جعل من النسلخ عن آيات الله إماماً للشيطان والشيطان يتبعه وهو من الدم بمكان وظهير ذلك قول الشاعر

وكنيت في من جد إبليس فاروق في الحال حتى صار إبليس من خلد
تعود بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع . وله قصة مشهورة ذكرها المنصورون مع موسى عليه السلام وقومه وحصول الفتنة بسبب الساء والله أعلم بصحتها .

(٢) أخبر الله تعالى أنه خلف من بعد أولئك القوم الذين ذكرهم الله تعالى قبل خلق سوره في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم اليهود ورثوا كتاب الله تعلوه وصنعوا العمل به فخالعوا حكمه بأخذون الرشوة فيه من عرض هذا

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له . فقوله في السحر (ويعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) وقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقوله (فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى النافع وإلى غير نافع . والاستفادة من العلم الذي لا ينفع . وسؤال العلم النافع . ففي صحيح مسلم عن زيد ابن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ . وفي بعضها ومن دعاء لا يسع . وفي بعضها أعوذ بك من هؤلاء الأربعة . وخرج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول اللهم اني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع . وخرجه ابن ماجه ولفظه ان النبي ﷺ قال سلوا الله علماً نافعاً وتعودوا بالله من علم لا ينفع . وخرجه الترمذي

العاجل الآتي ويقولون اذا فعلوا ذلك ان الله سيقبل لنا ذنوبنا فنبأ على الله الآتي وان بأنهم عرضوا لله في الرشوة بأخذوه أن يستحلوه ولم يرتدعوا عنه فهم أهل امصار على ذنوبهم وليسوا بأهل امانة ولا توبة فكما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يزالون حلالاً كان أو حراماً ومنهم من ورت العلم واتخذته ذريعة لأكف أموال الناس بالباطل . فبعض الله من ذلك .

(١) يقال سمعت به أعوذ عوداً وغياذا للحياك اليه وانحصرت به ومن ذلك المفعولان (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) لانهما عودتان صاحبهما أي عصاه من كل سوء .

من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلى ما ينفعني وزدني علماً . وخرج النسائي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو اللهم انفعني بما علمتني وعلى ما ينفعني وارزقني علماً تنفعني به . وخرج أبو نعيم من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول اللهم انا نسألك ابتلاء دائماً فربما يمان غير دائم وأسألك علماً نافعا قريب علم غير نافع . وخرج أبو داود من حديث بريدة عن النبي ﷺ قال ان من البيان سحراً وان من العلم جهلاً (١) وان ضعفة بن صوحان فسر قوله ان من العلم جهلاً . أن يتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجعله ذلك . ويقسر أيضاً بأن العلم الذي يضر ولا ينفع جهل . لان الجهل به خير من العلم به . فاذا كان الجهل به خيراً منه فهو شر من الجهل . وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين أو في الدنيا .

(١) الحديث رواه أبو داود عن سحر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى عليه وآله وسلم يقول ان من البيان سحراً وان من العلم جهلاً وان من الشعر حكماً وان من القول عيلاً . قال أبو داود فقال ضعفة بن صوحان صدقني الله ﷻ . أما قوله ان من البيان سحراً فالرجل يكون عليه الحق وهو الحق بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق . وأما قوله من العلم جهلاً فيتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجهله . وأما قوله من الشعر حكماً فهي هذه المواظ والامثال التي يتعظ بها الناس . وأما قوله من القول عيلاً فمرحك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه ولا يريد . قال ابن الاثير يقال علت النخالة أعيل عيلاً اذا لم تدر أي جهة تهيئها . كأنه لم يهتدي لمن يطلب كلامه فمرجه على من لا يريد . وبأى الكلام على باقي الحديث فيما بعد ان شاء الله .

وقد روى عن النبي ﷺ تفسير بعض العلوم التي لا تنفع في
مراسيل أبي داود عن زيد بن أسلم قال قيل يا رسول الله ما أعلم فلانا
قال يم قالوا بأنساب الناس (١) قال علم لا ينفع وجبالة لا تضر
وخرجه أبو نعيم في كتاب رياض المؤمنين من حديث بقة عن ابن
جرير عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعا وفيه أنهم قالوا أعلم الناس
بأنساب العرب وأعلم الناس بالشعر وبما اختلفت فيه العرب وزاد في
آخره العلم ثلاثة ما خلاهم فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو

(١) هو علم يعرف منه أنساب الناس وهو كثير الفروع عظيم الفائدة
خليل الشعر أشار القرآن الحكيم إليه في قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا) وخشيت السنة على فعله وعرفته كما سيأتى في كلام المصنف بعد وقد
اعتنى العرب في ضبط أنسابهم إلى أن كثرت أهل الاسلام واختلفت أنسابهم
بالاجرام فتعذر ضبطه بالأعلام فأنشأ كل مجهول النسب إلى بلد أو حرفه
أو نحو ذلك ولا سيما في زماننا هذا فالك لا تجد من يعرف لسه الاماقل وتندر
وهذا العلم مشهور لطول الدليل وقد صنف فيه كتب كثيرة وأول من فتح
هذا الباب وصنف علم الأنساب الإمام النبابة هشام بن محمد السائب الكلبي
المتوفى سنة ٢٠٤ هـ صنف فيه خمسة كتب وهي المثلثة والجمهرة والوجيز
والقريد والملوك ثم انفق أثره جماعة منهم أبو الحسن أحمد بن يحيى
البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ صاحب كتاب أنساب الأشراف وكتاب فتوح
البلدان وعبد الملك بن هشام صاحب السيرة المتوفى سنة ٢١٣ وأبو جعفر
محمد بن حبيب البغدادي والأمام أبو سعيد عبد الكريم المروزي الحافظ
المشهور بالسمازي المتوفى سنة ٥٢٢ صاحب الأنساب وهذا انما هو فيما يوصل
إلى صلة الأرحام كما سيأتى عن المصنف والحديث محمول على التوغل فيه أو
ما راد على قدر الحاجة جمعا بين الاحاديث

فريضة عادلة وهذا الاسناد لا يصح وبقيته دلالة عن غير ثقة وآخر
الحديث خرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن
العتاس مرفوعا العلم ثلاثة ما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة وفي اسناده عبد الرحمن بن زياد الافريقي وفيه
ضعف مشهور (١)

وقد ورد الامر بأن يتعلم من الأنساب ما توصل به الأرحام من
حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم
ما تصلون به أرحامكم أخرجه الامام أحمد والترمذي وخرجه حيد
ابن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعا تعلموا من أنسابكم
ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب
الله ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر
ثم انتهوا وفي اسناد روايته ابن طيبة وخرجه أيضا من رواية نعيم بن
أبي هند قال قال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم
امسكوا وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم وتعلموا ما ينحل لكم من

(١) وأيضا في سنن عبد الرحمن بن رافع قاضي إفريقية وقد جمعها
جماعة وقال إسحق بن راهويه سمعت يحيى بن سعيد يقول عبد الرحمن بن زياد
ثقة وكذا في حق عبد الرحمن بن رافع وقال بن معين أنه صالح ورواه الحاكم
باسناد حسن والآية المحكمة هي أم الكتاب التي يقابلها المشابهة هي الصريحة
المعنى لا يتطرقها الاحتمال والسنة القائمة هي الثابتة بحفظ سندها ومنها
والفريضة العادية ما اتفق عليه المسلمون لأن العمل به واجب ومستحب ومقتضى
فيه وقوله ما خلاهم فهو فضل أي رائد لا ضرورة تدعو إليه

النساء ويجرم عليكم ثم اتبوا - وروى مسعر عن محمد بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب - تعلوا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق -

وكان الشعبي لا يرى بأساً أن يعلم الرجل من النجوم ما يهتدى به - ورحص في تعلم منازل القمر أحمد وإسحق ويعلم من أسماء النجوم ما يهتدى به - وذكره قتادة تعلم منازل القمر - ولم يرحص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنيماً - وقال طاوس ريب ناظر في النجوم - ومتعلم حروف أي جاد ليس له عند الله خلاق - خرجته حرب - وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاوس عن ابن عباس - وهذا محمول على علم الثمانين (١) لا علم التسعة (٢) قال علم الثمانين باطل محرم - وفيه ورد الحديث المرفوع - ومن اقتبس تسعة من النجوم فقد اقتبس تسعة من السحر - (٣) خرجه أبو داود

(١) أي أد النجوم ومنازلها تؤثر بالامعاء والاشفاء كما يقول به بعض كذا المشبهين حماناً الله والمسلمين من اعتقاد أن للموتى غير الله سبحانه (٢) قال تعالى (والنجم هم يهتدون) أي في أسفارهم وإلى قتلهم وبدا يكون مطروحا عنه

(٣) معنى اقتبس أخذ وتعلم وحصل علماً من علومها أو مسألة - قال الخطابي وعلم النجوم النبي عنه هو ما يدل عليه أهل النجوم من علم الحوادث التي لم تقع كبحر الأمطار وتغير الأسعار - وأما ما يهتدى به أوقات الصلاة ووجه القبلة فقيل داخل فيها أي عنه - وقد بسط ذلك في شرح السنة وحاصله أن المسلم عنه من علوم النجوم ما يهتدى به أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مستقبل الزمان مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ووقوع الكسوف والخسوف وبقي المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار من ارتفاع أو انخفاض ويرمون أنهم يتذكرون معرفتها بغير الكواكب واجتماعها

من حديث ابن عباس مرفوعاً وخرج أيضاً من حديث قبيصة مرفوعاً - العياقة والطيرة والطرق من الجيت - (١) والعياقة زجر الطير والطرق الخط في الأرض -

وافترافها وهذا علم استأثر الله به لأصله أحد غيره - كما أجراه تعالى في كتابه العزيز بقوله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) الآية - وأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال ووجه القبلة والطرق فقيل داخل في النبي لقوله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) ولقوله تعالى (والنجم هم يهتدون) فإن فيه إخباراً بأن النجوم طرق لمعرفة الاوقات والمسالك ولزوالها لم يهتد الناس لاستقبال القبلة ولا سائق عن بحر رضى الله عنه بعد في كلام المؤلف والله الموفق

(١) العياقة زجر الطير والتناؤل أسيائها وأصواتها وممرها كما يقال بالعقاب على العقاب - وبالغراب على الغرية - وبالهدى على الهدى وهكذا وهو من غادات العرب يقال غاف يعقب عيافاً إذا زجر وحفت وظن - وكان أبو أسد يوصفون بها وما يحكي عنهم على غائقة ابن الأثير أن قوماً من الجن تذكروا عياقة بن أسد قائوم فقالوا حلت لنا ناقة فهو أرسلتم معنا من يعقب فقالوا للعلم منهم انطلق معهم فاستدفع أحدهم ثم ساروا فلقبهم عقابت بكثرة إحدى جناحيها فلقبهم الغلام - وبني فقالوا مالك فقال تكبرت جناحاً ورفقت جناحاً وحلفت بالله صراخاً ما أنت يا بني ولا تخي لقاخاً

والطيرة بكسر الطاء وضع الياء وقد تشكى التشاؤم بالنبي - وأصله فيما يقال الطير بالسواج والبولارج من الطير والشار وغيرهما - وكانت العرب تعتقد أن له تأثيراً في جلب شئ ودفع شر فقهاء النارج وأطلقوه على أنه ليس له تأثير في جلب شئ أو دفع شر - والطريق الخط في الأرض - وقد نقل ابن الأثير تفسيره عن ابن عباس قال وهو الذي يحمله الجازي وهو علم له تركه

فعلم تأثير النجوم باطل محرم ، والعمل بمقتضاه كالتقرب الى النجوم
وتقريب الفرائين لها كفر . وأما علم السير فإذا تعلم منه ما يحتاج اليه
للاعتناء ومعرفة القلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور وما زاد عليه فلا
حاجة اليه وهو يشغل عما هو أهم منه . وربما أدى التدقيق فيه الى اسارة
الظن بحارب المسلمين في أمصارهم كما وقع ذلك كثير أ من أهل هذا العلم
قديمًا وحديثًا وذلك بقضى الى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم
في كثير من الامصار وهو باطل .

وقد أنكر الامام احمد الاستدلال بالجدي وقال إنما ورد ما بين
المشرق والمغرب قبلة . يعنى لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم . وقد
أنكر ابن مسعود على كعب قوله ان الفلك تدور . وأنكر ذلك مالك
وغیره . وأنكر الامام احمد على المنجمين قولهم ان الزوال يختلف في
في البلدان . وقد يكون انكارهم أو انكار بعضهم لذلك لان الراسل لم تسلكهم

الناس بأمر صاحب الحاجة الى الحار فيعطيه حلاً فقول له اتقوا حتى أخط
لك وبين يدي الحار غلام له معه ميل ثم بأى الى أرض رخوة فيخط فيها
خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يبلغها العدد ثم يرجع فيحفر منها على مهل خطين
وغلامه يقول التفاؤل ابني عيان اسرع البيان فان في خطين فهما علامة النجاح
وان في خط واحد فهو علامة الخيبة وهو ضرب من الكهانة .

والخط المشار اليه في الحديث علم معروف للناس فيه تصانيف كثيرة وهو
ممنسول به الى الآن ولم فيه أوضاع واسطلاح ومحل كثير يستخرجون به
الضمير وغيره وقد يفتنون فيه . والنكت قال الجوهرى كلمة تقع على الصم
والكاهن والساحر ونحو ذلك وهذا ليس من محض العربية لاحتياج الجيم والثاء
في كلمة واحدة من غير حرف ذوقى . وفي الفائق هو السحر والكهانة

في هذا وان كان أهله يقطعون به وان كان الاشتغال به ربما أدى
الى فساد عريض .

وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول تلك الليل
الآخر وقال تلك الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول
في وقت معين . ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام قبح هذا الاعتراض
وان الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما
ناظروه بل بأدروا الى عقوبته والحاقه بزمرة المخالفين المناقضين المكذبين .

وكذلك التوسع في علم الانساب هو مما لا يحتاج اليه . وقد سبق
عن عمر وغيره النهى عنه مع ان طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه
ويعتنون به . وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحوها هو مما يشغل عن
العلم الانهم والوقوف معه بحرم (١) علماً نافعاً . وقد كره القاسم بن مخيمرة
علم النحو وقال أوله شغل وآخره بغي . وأراد به التوسع فيه . ولذلك
كره احمد التوسع في معرفة اللغة وغيرها وأنكر على أبي عبيدة توسعه
في ذلك وقال هو يشغل عما هو أهم منه . ولهذا يقال ان العربية في الكلام
كالملح في الطعام يعنى أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام كما يؤخذ من الملح
ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فانه يفسده وكذلك علم الحساب يحتاج
منه الى ما يعرف به حساب ما يقع من قسمة الفرائض والوصايا .
والاموال التي تقسم بين المستحقين لها والرائد على ذلك مما لا ينفع به
الا في مجرد رياضة الادهان وصقلها لا حاجة اليه ويشغل عما هو أهم
منه . وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسخوها

(١) قوله يحرم علماً نافعا من الحرمان لامن التحريم اهـ

علوما وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة (١) وهي من محدثات الأمور المنبئ عنها . فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الامثال لله . وقد ورد النبي عن الخوض في القدر . وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعاً : لا يزال أمر هذه الأمة مواظباً مقاماً ما لم يتكلموا في المولدان والقدر ، وقد روى موقوفاً ورجح بعضهم وقفه . وخرج البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً : إذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكر النجوم فامسكوا ، وقد روى من وجوه متعددة في أسانيد ما مقال . وروى عن ابن عباس أنه قال لميتون ابن مهران إنك والنظر في النجوم فانها تدعو إلى الكهانة والقدر فانه يدعو إلى الزندق وإياك وشم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكذب الله في النار على وجهك . وخرجه أبو نعيم مرفوعاً ولا يصح رفعه .

والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه منها ضرب كتاب الله بعضه بعضاً فيخرج المذهب للقدر بآية والثاني له بأخرى . ويقع التجادل في ذلك . وهذا قد روى أنه وقع في عهد النبي ﷺ وأن النبي ﷺ غضب من ذلك ونهى عنه . وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمرأ فيه وقد نبه عن ذلك (٢)

(١) بدعة من محدثات الأمور التي تحمل على الزناد على قدر الحاجة منها

(٢) وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة تختص النبي عن الجدال والمرأ في القرآن وغيره . نورد لك أهمها . روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أغضب الرجال إلى الله الأثمة الخصب . ورواه الترمذي أيضاً . والأثمة تشديد الدال المهملة تشديد الحصة . والخصب كسر الصاد هو الذي يجمع من بغضته . وروى

ومنها الخوض في القدر اثباتاً ونفيًا بالاقيسة العقلية . بقول القدرية لو قدر وفضي ثم عذب كان غلاماً . وقول من خالفهم أن الله جبر العباد على أفعالهم ونحو ذلك .

ومنها الخوض في سر القدر . وقد ورد النبي عنه عن علي وغيره من السلف فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك . ومن ذلك أعني محدثات الأمور ما أحدثته المعتزلة ومن خذاحتهم من الكلام . في ذات الله تعالى وصفاته بلادة العقول وهو أشد خطراً من الكلام في القدر لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته .

وينقسم هؤلاء إلى قسمين . أحدهما من نفي كثيراً ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستزائه عنه التشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة لو روى

الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما فعل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجمل ثم قرأ (ما ضرهم لك إلا جدلاً) وقال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه أيضاً ابن أبي السيار ورواه الطبراني في كثيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا حولنا عن باب رسول الله ﷺ فذكر يبيع هذا بآية ويبيع هذا بآية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يفتأ في وجه حب الرمان فقال يا هؤلاء بهذا يعتمد أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . قالوا من لا يعار ولا يجادل بن بيع الرشد ويحسب التي يورد ما اختلف فيه وحسب عليه إلى العالم . والراجح في العلم . ولذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما علي ما رواه الطبراني أيضاً في الكبير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى عليه السلام قال إنا الأمور ثلاثة . أمر بين لك وشدة فأنه . وأمر بين لك غير فأنه . وأمر اختلف فيه فردد إلى عالم . قال الحافظ الترمذي أسأله لأناس به والله أعلم

لكان جسدا لانه لا يرى الا في جهة . وقولهم لو كان له كلام يسمع لكان جسدا ووافقهم من نفي الاستواء (١) فنفوه لهذه الشبهة : وهذا طريق

(١) الاستواء المراد به هنا الوارد في القرآن الكريم في قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) الآية . وقوله (تزيلا عن خلق الارض والسموات اعلى الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن) ولا شك ان من نفي الاستواء ليس مراده نفي الآيات القرآنية الواردة في ذلك ولا الاحاديث النبوية المثبتة له بل غرضه نفي معنى الاستواء المعنوي المشاهد بالخلق المحسن تزيلا للباري تعالى عن المشابهة والمماثلة أختا بقوله تعالى (ليس كمثل شيء) المقصود لنفي المثلية المطلقة العامة التي تستغرق جميع الافراد الجزئية الا ان فيه مخالفة لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن يعدم ومبالغة وعلو في ذلك ولذلك يقولون في تقريرهم المثل (لافوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل ولا أمام ولا خلف) الى غير ذلك مما يوم نفاظه فيه حل وعلو تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا تحك حجة من مذهب الأمة وخلفها ورد على من نفي الاستواء وطمأن ان النفي انما هو للآيات القرآنية والاحاديث النبوية وشنع عليه ونسبه الى الكفر والتبصيع والتضيق مغاليا في الرد ومبالغا في التشهير به كما هو الشأن في ذلك وخير الامور اوساؤها . وهو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرحامهم من إمرار آيات الصفات كلها واحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكليف ولا تشل كما سألنا يانه في كلام المؤلف رحمه الله تعالى بعد : وما أحسن جواب الامام مالك حين سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول . والسؤال عنه بدعة . ولذلك لا ينبغي إطالة الكلام فيه ولا الخوض في معانيه . بل الوقوف مع السلف الصالح رضي الله عنهم .

المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الامور كثير ممن اتسبب الي السنة والحديث من المتأخرين والثاني من وام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقالتهن كما هي طريقة مقاتل بن سليمان ومن تابعه كنوح ابن أبي مرزوم وتابعهم طائفة من المحدثين قديما وحديثا . وهو أيضا مالك الكرامية فمنهم من أثبت لآيات هذه الصفات الجسم اما لفظا . واما معنى . ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة .

وقد أنكر السلف على مقاتل قوله في رده على جهم بأدلة العقل وبالقوا في الطعن عليه . ومنهم من استحل قتله . منهم مكى بن ابراهيم شيخ البخاري وغيره .

والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات واحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكليف ولا تمثيل . ولا يصح من أحد منهم خلاف ذلك ألينة خصوصا الامام أحمد ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل من الامثال لها : وان كان بعض من كان قريبا من زمن الامام أحمد فيهم من فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك انما الاعتناء بأئمة الاسلام كابن المبارك (١)

(١) هو الامام الحافظ العلامة فخر المجاهد قنوة الزاهد بن أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي صاحب التأليف النافعة والرحلات الشاسعة توفي سنة ١٨١ قال أبو إسحق ابن المبارك امام المسلمين . وقال ابن ساعيل بن (٢٠٠ - فضل علم السلف على الخلف)

ومالك والثوري (١) والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحق

عاش ما على الأرض مثل ابن المبارك. وقال الإمام أحمد بن حنبل لم يكن في وطن ابن المبارك أكثر ظلة للعلم منه قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ. والله إن لآدم في الله وأرجو الجيرة لما منحه الله من القوى والعادة والأخلاص والجهاد وسعة العلم والافتقار والمواهب والفتوة والصفات الحميدة ومناقبه وشأن الأمة عليه لا تحصى. ومن كرامته إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن والله أعلم

(١) هو الأمام شيخ الإسلام سيد الحافظ أبو عبد الله الثوري الكوفي الفقيه المتوفى سنة ١٦٦ قال يحيى بن معين وشعبة وخاتمة فيه سليمان أمير المؤمنين في الحديث وقال الإمام أحمد بن حنبل لم يتقدم الثوري في الجليل أحد. وقال الأوزاعي لم يبق من تفتيح عليه الأمة بالرجاء والصحة الأسفيان. وقال ابن المبارك كتب عن ألف ومائة شيخ منهم أفضل من سبعمائة وقال أيضاً لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سليمان. وقال الطحاوي سليمان لم يبق في كل شيء وشأن الأمة عليه كثير يحتاج إلى تأليف والتذكير جمع الحافظ ابن الجوزي مناقب هذا الإمام في محله وقد اختصره العلامة الشافعي وذكره في تاريخه. ومن كلامه: ما استودعت على شيئا قط ففان. وقال يحيى بن زكريا سمعت سليمان يقول العالم طيب الدين والبرحم ذاك الدين فإذا احترق الطيب ذاك الدين يداوى غيره. وقال الثوري رضى الله عنه أيضاً وحدث لو أني لموت من العلم لا على ولا إلى وما من علم إلا أجوف على من. وقال أبو أسامة سمعت سليمان يقول ليس طلت الحديث من عدة الموت. تلك عدة يتشغل بها الرجل. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي إذا كان علم الأئمة مبعولاً فامتنك علم النطق والجدل وحكمة الأوائل التي تشبه الإيمان وتورث التفكير والحيرة التي لم تكن والله من علم

وأبي عبيد ونعيم (١).

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلائع كلام الفلاسفة. ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قبح وجرح. وقد قال أبو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يسن عنه واحتج به بشره إلى شيء من الكلام ظن منه.

ومن ذلك أعني محدثات العلوم ما أخذته فقهاء أهل الرأي من حوايط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها. وسواء أخالفت السنن أم وافقتها طردا لتلك القواعد المقررة وإن كان أصلها مما تأولوه على حصوص الكتاب

الصحية ولا التابعين ولا من علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي حنيفة وابن أبي شيبة وشعبة ولا والله عرفها ابن المبارك ولا أبو يوسف القائل من طلب العلم بالكلام تندق ولا وكيم ولا ابن مهدي ولا ابن وهب ولا الشافعي ولا عثمان ولا أبو عبيد ولا ابن القتيبي وأحمد وأبو ثور والمزني والبخاري والأوزاعي ومسلم والشافعي وابن خزيمة وابن شريفة وابن المنذر وأماهم بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه والتجويد وبته ذلك. قلنا صدق الحافظ والله فيما قال مع أنه أدرك في رتبة علماء محدثين عاملين بالكتاب والسنة بخلاف زماننا هذا قد شغل علماء الوسائل وغواها حتى ظن الكثير أنها المقصودة لها وبذلك الاشتغال بالعمل النافع أغرى به على القرآن والحديث والعمل بها. اللهم افقه علماءنا ووفهم لاحتيا على الكتاب والسنة والعمل بها وجعلها مقصودين لها كما كان السلف الصالح رضى الله عنهم.

(١) من أئمة الإسلام مشهور المجتهدين وسلفه الأئمة الأربعة ومذهبيهم من التابعين الآخرين عن الصحابة ومن لحق بصرفهم من المتقدمين من علماء سلف الأئمة الصالحين رضى الله عنهم أجمعين.

والسنة لكن بأبواب ثلاث يخالفهم غيرهم فيها . وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق . وبالقوا في ذمه وأنكروه .

فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فانهم يتعمون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولاً به عند الصحابة . ومن بعدهم . أو عند طائفة منهم فأما ما اتفق على تركه فلا يجوز العمل به لانهم ما نزلوه الا على علم انه لا يعمل به . قال عمر بن عبد العزيز خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا أعلم منكم .

فأما ما خالف عمل أهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الاخذ بعمل أهل المدينة (١) والا كثيرون أخذوا بالحديث .

(١) قال العلامة الشوكاني بعد ما نقل الخلاف فيه وبين أن إجماع أهل المدينة ليس بحجة عند الجمهور . وقال القاضي عبد الوهاب إجماع أهل المدينة على ضربين قل واستدلال . فالاول على ثلاثة أضرب منه . نقل شرع مبتدأ من جهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما قول أو فعل أو تقرير فالاول كتقليد الأصابع والادان والاقامة والارقات والأجناس وغيرها . والثاني نقلهم المتصل كعهدة الوفاق وغير ذلك كتكريم أخذ الزكاة من المضروقات مع أنها كانت توزع بالمدينة . وكان النبي ﷺ والخلفاء بعده لا يأخذون منها قال وهذا النوع من إجماعهم حجة يلزم عنها المنع اليه وتركه الاختيار والمقاييس به لا اختلاف بين أصحابنا فيه قال والثاني وهو إجماعهم من طريق الاستدلال فأجلب أصحابنا فيه على ثلاثة أوجه . أحدها انه ليس بإجماع ولا يرجح وهو قول أن بكر وأن يعقوب الرازي والقاضي أبي بكر وأن يقولوا والمطالبي وأوفرج والجمهور وأنكر كونه مدعياً لمالك . ثانيها انه مرجح وبه قال بعض أصحاب

ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام . وإنما أتت ذلك بعدهم كما أخذته فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها . وكل ذلك يحدث لا أصل له وصار ذلك عليهم حتى شغلهم ذلك عن العلم النافع .

وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن ما نقل قوم بعد هدي الا أوتوا الجدل ثم قرأ (ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون) وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد خيراً ففج له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل . وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل .

وقال مالك أدرت أهل هذه البلدة (٢) وأنهم ليكرهون هذا الاكثار (٣) الذي فيه الناس اليوم . يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام

الشافعي : ثالثها انه حجة ولم يحرم خلافه . . وما أوردناه يبين لك ان ما ذهب اليه المالكية من أن عمل أهل المدينة حجة عند مالك وإن خالف الحديث ليس على إطلاقه بل على تفصيل كما تقدم وكذلك قول شيخنا انه مرجح عند تعارض الاختيار غير ظاهر فخالفت المتقول بغير .

(١) يعني المدينة المنورة بالمصطفى ﷺ

(٢) وأعلم ان الاكثار من الإسئلة مذموم والدليل عليه النقل المستفيض من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح قال العلامة الشافعي من السبل على ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) الآية وفي الحديث . انه عليه الصلاة والسلام قرأ (وثقه على الناس حج البيت) الآية فقال رجل يا رسول الله أكل غام فاعرض ثم قال يا رسول الله أكل غام

والفتيا ويقول يتكلم أحدهم كأنه جعل مقنم يقول هو كذا هو كذا يهدر
في كلامه وكأن يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول قال الله عز وجل
(ويسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربي) فلم بأنه في ذلك جواب
وفيل له الرجل يكون عالما بالنسب يتحدك عنها قال لا ولكن يحجر بالنسبة
فإن قيل منه والاسكت وقال المراء والحداد في العلم يشعب بنور العلم
وقال المراء في العلم يضي القلب ويورث الضعف وكان يقول في المسائل
التي يسئل عنها كثيرا لا أتري وكان الأعمام أحمد يسأل سبيله في ذلك

كلمات في ذلك يرضى وقال في الزايف الذي غلب يده لم قلنا لو جيت ولو
وجئت فاقم بها ولو لم تقوموا بها ليكنتم قد روي ما تركتكم وفي مثل هذا
قلت (لا تسألوا عن أشياء) الآية وكثر عليه الصلاة والسلام المسائل وعابها
وبين من كثرة السؤال وكان عليه الصلاة والسلام يكره السؤال فيها لم يرد
فيه حكم وقال إن الله فرض فرض فلا تصوموا وبني عن أشياء فلا تنكحوا
وحد حدودا فلا تعدوها وعابها أيضا رجة يك لا عن بيان فلا تسألوا
عيا وقال ابن عباس ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه
إلا عن ثلاث خيرة سألت حتى قبض صلى الله عليه وآله وسلم كنه في القرآن
(ويسألوك عن المحيض) (ويسألوك عن الثمن) (ويسألوك عن الثمن
الحرام) ما كانوا يسألون إلا عما يعيهم قال السائل يعني إن هذا كان الغالب
عليهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تروني ما تركتكم وإنما ذلك
من قبلكم بكمرة سؤالي واختلافهم عن أنسابهم) ومثل ذلك قصة أصحاب
الغزوة قال ابن عباس لو دعوا بقرعة ما لا جزائهم ولكن شددوا عند الله عليهم
حتى الشروها بنسبها أيضا دعوا وما كانوا يفعلون وعن ابن عمر قال
لا تسألوا عما لا يكن فأن سمعت عمر بن الخطاب يسأل عما لا يكن والسلف في ذلك كلام
كثرت انصرا على المهج عوف الأمانة وفي الكفا يملن عقل واعتدى واتبع سبلهم

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل (١) وعن
المسائل قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره ومع هذا فن كلام
السلف والأئمة كالكلام والشافعي وأحمد وإسحاق انتهى على ما أخذ للفقهاء
ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة
ولا إسهاب وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للثبت بالظن إشارة
وأحسن عبارة بحيث يعني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدم
بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من مذهب من الصواب في ذلك ما تضمنه
كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه فما سكنت من سكنت من كثرة
الخصام والجدال من سلف الأمة جهلا ولا عجزا ولكن سكتوا عن علم
وخشية الله وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدم اختصاصه
بعلم مذهبهم ولكن جبال لكلام وقلة ووع كما قال الحسن وسمع قوما
يتجادلون هؤلاء فحرم ملوا العبادة وخلف عليهم القول وقيل ورعهم فتكلموا
وقال مهدي بن هيمون سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجلا ففطن
له فقال إني أعلم ما يريد إني لو أردت أن أماريك كنت عالما بأبواب
المراء وفي رواية قال أنا أعلم بالمراء منك ولكني لا أماريك وقال

(١) قال الخطابي يقال مسألة غلط يغلط فيها كفرنس ركوب وشاة غلوب
فإذا جعلها سبأ ردت على قبلك غلوطه كما يقال غلوطه وركوة وأراد مسائل
يغلط بها العلماء ليروا فيجب تلك شروقة وأما هي عنها لا تها غير ناقدة في
الدين ولا شكال تكون إلا فيها لا ينع. يعني أن المسائل تأتي بمسائل يرفع بها
المسئول عنها في الشك لا شكال فيها فيستحق لغير فضل نفسه وقلة علم المسئول
عنها ومثله قول ابن مسعود أني تركتكم صفاب الفلق قال أبو ذؤيب في
عزل المسائل

أبراهيم النخعي ما خاصت قط . وقال عبد الكريم الحوري ما خاصم
ورع قط . وقال جعفر بن محمد أياكم والخصومات في الدين فاتها تشغل
القلب . وتورث النفاق .
وكان عمر بن عبد العزيز يقول إذا سمعت المرء فاقصر . وقال من
جعل دينه عرضا للخصومات أكثر الثقل . وقال ابن السبكي عن علم
وقفوا وبصرنا قد كفرا وكانوا هم أقوى على البحث لو جتوا . وكلام
السلف في هذا المعنى كثير جدا (١) .

(١) من ذلك ما نقل عن الإمام مالك إمام دار الهجرة قال موسى بن
إدريس ما رأيت أحدا من العلماء أكثر من أن يقول لأحسن من مالك . وقال
مالك رضي الله عنه ما لي أشد على من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام
لأن منافع القطع في حكم الله ولقد أدركت أهل العلم والفتنة يطعنوا وإن أحدهم
إذا سئل عن مسألة كان الموت أشرف عليه . وقال رضي الله عنه ربما وردت
على المسألة تمنعني من الطعام والشراب واليوم قتل لي أبا عبد الله والله ما كلامك
عند الناس إلا قر في حجر ما تقول شيئا إلا تقهقهرك قال من أحق أن يكون
فكنا . وكان إذا سئل على المسألة قال للسائل انصرف حتى أظفر بها فيصرف
ويرد فيها قيل له في ذلك فبكى وقال لي أخف أن يكون لي من المسائل يوم
وأى يوم . وكان رضي الله عنه إذا جلس تكسر رأسه وحرك شفتيه بذكر الله
ولم يثبت يمين ولا شمالا فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكانت أحر فيصفر
وتكسر رأسه ويحرك شفتيه ثم يقول ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله قربنا
سئل عن شخص مسألة فلا يجيب منها في واحدة وسئل في الغزاق عن أربعين
مسألة فما أجاب منها إلا في خمس . وسئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين
وثلاثين منها لا أدري . وكان إذا شئت في الحديث طرحة كذا وقال إنما أنا بشر
أخطئ وأصيب فالظنوا رأي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا إن من كثرة كلامه وجداله
وخصامته في مسائل الدين فهو أعلم من ليس كذلك . وهذا جهل عظيم .
وانظر إلى آثار الصحابة وعلمائهم كافي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود
وزيد بن ثابت كيف كانوا . كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه
وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة . والصحابة أعلم منهم .
وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين . والتابعون أعلم
منهم . فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور ينفذ في
القلب يفهم به العبد الحق ويعين به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك
بإشارات وجيزة محصلة للتقاصد .

وقد كان النبي ﷺ أوفى جامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً
ولذا ورد النبي . عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال (١) . وقد
قال النبي ﷺ : إن الله لم يبعث نبيا إلا مبلغا وأن تشقيق الكلام من
الشیطان . يعني أن النبي ﷺ إنما يتكلم بما يحصل به البلاغ . وأما كثرة
القول وتشقيق الكلام فانه مدموم . وكانت خطبة النبي ﷺ قصدا .
وكان يحدث حديثا لو غده العاد لا تحضاه . وقال إن من البيان سحرا .

وكل عالم يوافي ذلك فتركوه . وقال ليس كل ما قال الرجل وإن كان فاضلا يقع
ولجعل سنة ويذهب إلى الاصطلاح قال الله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون
القول فينبعون أحسن) وهذا باب واسع يقتصر منه على ما ذكرنا وبالله التوفيق .
(١) كذا روى البخاري . ومسلم عن العيص بن شبة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ورواد البيات
ومنعا وفات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) وفي مسلم (كفى
بالمسلم أن يحدث بكل ما سمع) .

وأما قوله في دم ذلك لا مدحاً له كما قلنا ذلك من ظنه . ومن تأمل سياق
الفاظ الحديث قطع بذلك (١) . وفي الترمذي وغيره من عبد الله بن عمرو
مرفوعاً أن الله لينقض البيع من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل
البقرة بلسانها (٢) . وفي المعنى أحاديث كثيرة مرفوعة ومرفوعة على غير

(١) وروجه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله على ما رواه البخاري وغيره
حين روي عنه الزرقاني بن يونس السبيعي وعمرو بن الأخت السبيعي في وجود قومها
ورادهم وأبلسه تسع من البقرة فقال الزرقاني يا رسول الله أنا سيد قوم
والطعام منهم وأجابهم من الظلم وأخذهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعني
ذلك عمداً فقال عمرو والله لشديد العارضة . مانع لجانبه مطاع في أذنيه فقال
الزرقاني والله يا رسول الله لقد علم من غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الجسد
فقال عمرو ألا أسدلك قول الله يا رسول الله لا للمخالف فمر المروية من العظم
أمر والله مضيق في الشهادة والله يا رسول الله قد صدقت في الأولى وما كذبت
في الآخرة ولكني رجل إذا وصيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت
أقبح ما وجدت فقال صلى الله عليه وآله وسلم (أن من البيان سحرا) أن من
البيان سحرا) وفي رواية (أن من البيان سحرا) (لأنه التأكيد) قبل هذا ثم
قلنا لأن البحر فهو فيكاه قبل أن من البيان ما يخرجه الباطل حتى يشبه بالحق
فأصاحت الأمثال وأما شبه بالبحر فخذة حمله في سالفه وسرعة قول القاب
له وهو مثل بحري في استحسان المطلق وإيراد الحجة البالغة وأول من نقله به
البيهقي صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم .

(٢) هو الذي يفتق في الكلام ويختم به لسانه ويثقله كالثقل البقرة الكلام
بلسانها فما شبه لسانه في العلم حال التكلم فاصعباً ما يعمل البقرة بلسانها
وهذا يحول على ما لا فعل ذلك تكلفاً وفصلاً . وأما من يعطى ويفصح من غير
تكلف فلا يدخل فيه والله أعلم .

وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة . فيجب أن يعتقد أنه
ليس كل من كثرت بسطة القول وكلامه في العلم كان أعلم من ليس كذلك .
وقد اختلفنا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول
من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم . فبهم من يظن في شخص أنه أعلم من
كل من تقدم من الصحابة ومن يقدم لكثرة بيانه ومقاله . ومنهم من
يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين . وهذا يلزم منه ما قبله لأن
هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولاً ممن كان قبلهم فإذا كان من
تقدم أعلم منهم لانتفاع قوله كان أعلم من كان أقل منهم قولاً بطريق
الأول . قال الأوزاعي والأوزاعي (١) . والليث (٢) وابن المبارك .
ومثلتهم . ومن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً .

(١) هو شيخ الاسلام ووجه الامام أبو عمر وعبد الرحمن الدمشقي الحافظ
المتوفى سنة ٢٥٧ هـ قال اسماعيل بن عياش سمعت الناس يقولون سنة أربع ومائة
الأوزاعي اليوم عالم الامة وقال الحزني كان الأوزاعي اليوم أفضل أهل زمانه
وقال الحنكلي الأوزاعي أمام عصره محبوا وأمام أهل الشام خصوماً ولقد يكن
أهل الشام ثم أهل الاندلس على طبعة الأوزاعي مدة من الدهر إلى أن فن
العادفون به وماتوا لا تحصى وبناء الامة عليه يحتاج إلى تأليف من البحر حديث
ولا حرج . ومن كلامه عليك آثار السلف وإن رضيت الناس وإياك ورأى
الرجال وإن زخرفوه بالقول فإن الأمر يجلي وأنت على طريق مستقيم . وقال إذا
بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث فأتاك أن تقول غيره فانه كان مبلغاً عن الله
وكان يقول حجة كان عليها الصحابة والتابعون لزوم الجماعة وإتباع السنة . ومحارة
المساجد والفتاوى والجهاد . وكان يقول ويل للفتنة بعد العبادة والمستحلين
الحرمان . والتهنئة .

(٢) هو الامام القدوة والحافظ الفقيه المجتهد المطلق شيخ الديار المصرية

فان هؤلاء كلهم أقل كلاماً من جلاء بدعهم وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالحين وإنارة ظن بهم وتبسط لهم إلى الجهول وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة أنهم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علوماً. وأقلها تكلفاً (١) وروى نحوه عن ابن عمر أيضاً وفي هذا الإشارة إلى أن من بعدهم أقل علوماً وأكثر تكلفاً.

وعالمها ورئيسها أبو الحارث الليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥. روى عبد الملك ابن يحيى بن بكير عن أبيه قال ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث وما رأيت أحداً أكل من الليث كان فيه البلل عرق اللسان بحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة إلى أن عدت خمسة عشرة حملة ما رأيت مثله. وقال الشافعي الليث الله عز وجل. إلا أن أصحابه لم يقوموا به وفي رواية عن الشافعي طبعه قومه وفي أخرى ضيعه أصحابه. وقال ابن أبي مريم ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من الليث وما كانت خصلة يقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة في الليث. وقال ابن حبان كان الليث من سادات أهل زمانه فقهاً وعلمياً وحفظاً وفناً وكراماً. وقال الترمذي في تهذيبه أجمعوا على جلالته وأمانته وعظم مرتبته في الفقه والحديث ومناقضه كثيرة.

(١) وهالك بعض ماورد في وصف الصحابة عن الأئمة الأعلام. روى عن الحسن وقد ذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال أنهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فتشبهوا بأخلاقهم وعرفاتهم فأنهم ورث الحكمة على الصراط المستقيم. وعن حنيفة أنه كان يقول انتم الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قولكم فاعبروا لن تبتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن تركتموه ميتاً وشحالا لقد ضلتم ضلالاً

وقال ابن مسعود أيضاً أنكم في زمان كثير علوؤه قليل خطبائه وسيأتي بعدكم زمان قليل علوؤه كثير خطبائه فمن كثرت عليه وقل قومه فهو المندوح ومن كان بالعكس فهو مذموم. وقد شهد النبي ﷺ لأهل الدين بالإيمان (١) والفقه. وأهل الدين أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم لكن عليهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بالسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك. وهذا هو الفقه والعلم النافع. فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة (٢) والتابعين وتابعهم إلى أن ينتهي إلى أئمة الاسلام المشهورين المقندين بهم الذين جئناهم فيما سبق.

بعيداً. وعن عمر بن عبد العزيز قال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواة الامر بعده سناً الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من عمل بها ميتة ومن استصحبها مصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ورواه الله ماتوا وأصله عنهم وسات مصداقاً. وفي رواية عنه بعد قوله وقوة على دين الله ليس لاحد منهم ولا ليدليها ولا الظرف رأى خالفها من اعتدى بها إلى الحديث. وعن ابن مسعود قال من كان منكم متبياً فلتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علوماً وأقلها تكلفاً وأقومها ديناً وأحسنها حالاً قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وأقامه دينه فاعرفوا ثم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم.

(١) إشارة لقوله ﷺ في حق أهل الدين الإيمان بآثاره والخشعة بآثاره (٢) لأن عليهم سنة يقتدى بها ويرجع إليها قال الشافعي في كتابه المواقفات سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها ومن التذليل على ذلك أمور

فقط ما روي عنه في ذلك أفضل العلوم مع فهمه وتعقله والتفقه به وما حدث بدم من التوسع لا خير في كثير منه إلا أن يكون شرحاً للكلام يتعلق من كلامهم وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من يعدم من حتى إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأجصر عبارة ولا يوجد في كلام من يعدم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلاله لمن فهمه وتأمله ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمأخذ الدقيقة مما لا يستثنى إليه من يعدم ولا يعلم به .

(أضحا) ثانياً الله عليهم من غير شبهة (أي استثناء) ومدحهم بالعدالة وما رجع إليهم بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) في الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم وذلك بقصر استقامتهم في كل حال وجران أحوالهم على الموافقة دون المخالفة وفي الثانية إثبات العدالة مطلقاً وذلك يدل على ما روي عنه الأولى .

(الثاني) ما حاز في الحديث من الأمر بأنهم وإن سخطهم في طلب الأضاح كسألني صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فليكن سبقي وسنة الخلفاء الراشدين الذين تمسكوا بها وعصوا عليها التواجد . وقوله ففرق أمي على ثلاث وسبعين مرة كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما آتاه عليه وأصحابه .

(الثالث) أن جمهور العلماء قسموا الصحابة عند ترجيح الأقوال عند جد طائفة قول أو نكر وجه ودليلاً وبعضهم يعد قول الخلفاء الأربعة دليلاً وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلاً ومنه الآثار وإن توسع عند العلماء علامتها فيها فتقررت انتهى إلى أمر كل من المستند في المسألة وذلك

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فانه ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم . ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحه من سقيمه وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلم لمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله (١) من ذلك ويلتبس عليه حقه وباطله . ولا يثبت

أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة ويكتفون بتوافقهم وأكثر ما تجد هذا المتقي في علوم الخلفاء النازحين الأئمة الفاضلين فيجزم إذا متروا مداهم قوروا بشكر من ذهب إليهم من الصحابة وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفتهم من عظميتهم وقوة ما أخذهم دون غيرهم وكبر شأنهم في الشريعة وأهم مما يجب مخالفتهم وتقليد فضلائهم عن النظر معهم فيما عروا فيه . وقد قل عن الشافعي أن المجتهد قبل أن يجتهد لا يمنع من تقليد الصحابة ويخضع في غيره .

(الرابع) ما حاز في الأحاديث من إيجاب محبتهم ورواه من يقضيهم وإن مني أخيهم فقد أحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبغضهم فقد أبغض النبي عليه الصلاة والسلام وما ذاك من جهة كونهم رؤوه أو جاوروه أو حاوروه فقط إذ لأحرية في ذلك وإنما هو لشدة متابعتهم له وأخذهم أنفسهم بالعيل على منه مع صحابته وأصروا . ومن كانت هذه المثابة حقيق أن يتخذ قدوة ويحمل حذره قبله انتهى المقصود منه ببعض تصرف .

(١) وأيضاً غير موقوف به لأنه حكم على التخيير واختاره ولا يصح إلا بعد تصور الحكم عليه والأحاطة بآرائه الخاصة . ومن كان فكيف لا يثبت بحكمه وذلك لا يجوز أن يستل عن شيء في أحكام الدين فإنه لا تخير ولا اعتبار بخلافه في الشريعة المفردة . قال العلامة أبو اسحاق لا يصح التساؤل أن يسأل من لا يعتد في الشريعة جواباً لأنه استناد أمر إلى غير أهله والأجتماع على عدم صحة مثل هذا لا يمكن في الواقع لأن التساؤل يقول لمن ليس بأهل لا يسأل عنه أخيراً

بما عتده من ذلك كما يرى من قل عليه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي ﷺ ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه فهو لجهله يجوز أن يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه (١) .
قال الاوزاعي العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس يعلم . وكذا قال الامام احمد وقال في التبيين أنت خير يعني غيرنا في كتابه وتركه . وقد كان الزهري يكتب ذلك وخالفه صالح بن كيسان ثم لم يدم على تركه كلام التابعين .

وفي زماننا يمين كتابة كلام أئمة السلف المتقدمين بهم الى زمن الشافعي واحد وإسحاق وأبي عبيد . ولكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية والحوكم وهو أشد مخالفة لما لشذوذه عن الائمة وانفراده عنهم يفهم يفهمه أو يأخذ مالم يأخذ به الائمة من قبله .

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتقدمين أو الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتقطع ببعض أوصارهم كما قال احمد

عما لا يخفى وأنا أشد أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء ومثل هذا لا يدخل في ذممة العقلاء اذ لو قال له يئس في هذه المقابلة على الطريق الى الموضع الصلاني وقد علم أنها في الجبل بالطريق سواء لعد في ذممة الغافلين فالطريق الشرعي أول لانه هلاك أخروي وذلك هلاك ديني خاصة ههنا الله وإياك الى تصور الأحكام على حقيقتها والاحتاطة بكميها .

(١) الى معرفة صحيح من سقيمه بتفسير طلبك الى طلب معرفة ما يوزن الناظر في الحديث مثلاً الى معرفة الحسن في الضيف وصدقك العلوم التي يسورها الآلات وهكذا ولكن بقدر الحاجة .

لا يخرج من نظر في الكلام من أن ينجم . وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام (١) . وان ذبوا عن السنة . وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهل من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الى الحشو أو الى أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه فكل ذلك من خطوات الشيطان فعوذ بالله منه .

(١) قال الحافظ ابن الجوزي وكيف لا يذم الكلام وقد أقضى الى أنهم قالوا ان الله عز وجل يعلم حمل الاشياء ولا يعلم تفاصيلها وقال جهم بن صفوان عظم الله قدرته وحجته عدته وقال أبو محمد النخعي عن جهم أنه قال الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو علي الجبائي وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المذموم نوره وذاته وقس وجوهه وعرضه . وقد أطلب في ذلك . وقل معتكفاتهم . ولذلك ذم علماء السنة علم الكلام . وبالفرا في التفسير عليه . قال الشافعي رضي الله عنه لان يتلى المند بكل ما نهي الله عنه ما عدا الشرك بخبره من أن ينظر في الكلام . وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المس أو غير المس فاشبهه بمن أهل الكلام ولا دين له . وقال أيضا حكى في علماء الكلام أن يضربوا بالحربة ويطلق بهم في العشائر والقبائل وقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام . ولذلك قال الامام احمد من حبل وجه الله لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام وناقصة . ولا تجد متكلما الا ورجع آخر حمزه عن علم الكلام وناب وديم ونهى عن الاشتغال به . كان الوليد بن ابان الكرايبي أعلم أهل زمانه في علم الكلام ومباحته فلما حضرته الوفاة قال ليلى تغلبون أخا أعلم بالكلام مني قالوا لا قال عنهم موتى قالوا لا قال فاقبضكم أقبضون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث قالوا رأيت الحق معهم . وهذا امام الحرمين أبو المعالي الجويني الشافعي امام عصره كان يقول جلت أهل الاسلام (٢ م - فضل علم السلف على الخلف)

ومما أحدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة (١) من المعارف وأعمال القلوب ونوافع ذلك بحمد الرأي والدوق أو الكشف وفيه خطر عظيم . وقد أنكره أعيان الإئمة كالإمام أحمد وغيره . وكان أبو سليمان يقول أنه لم يرقى النكتة من نكت القوم فلا أتجملها إلا شاهدين عدلين الكتاب والسنة

وقال الجنيدي علنا هذا مفيد الكتاب والسنة من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علنا هذا . وقد اتسع الحرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء . أو أنهم مستخون عنهم . وإلى التفتيش بما جاءت به الرسل من الشرائع . وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوجوده الوجود . وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والنصيان كدعوى

جولة في علومهم . وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي بهر عنه كل ذلك في طلب الحق وهرما من التقليد وأما الآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم يدور العجائز قال لم يدركني الحق بلفظ يره فأبوت على دين العجائز ونجحت شاقة امرئ عند الرجل بكلمة الاخلاص فالويل لأبن الجور . وكاتب يقول لأصحابه يا أصحابا لا تشغلوا بالكلام فهو عرفت أن الكلام يبلغ في ما يقع ما تشاغل به . وللإمام بحر الدين الرازي وغيره كلام كثير في ذم علم الكلام وأمله أعرضنا عنه لطيف المقام . تبه والله المستعان

(١) يعني به المنسني بالتصوف وبجميع ما كان يدوق أهل الخصوص الدين أطلقهم الله فخلص كونه على ما لم يطلع عليه يحرم من أهل الظاهر وبعضهم يسميه علم اليأس ومن ذلك قصة الحضر مع سيدها موسى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم في القرنين آمين

الإباحة . وحل محظورات الشرائع . وأدخروا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء . فبعضها زعموا أنه يحصل به ترفيق القلوب كالغناء والرقص . (٢) وبعضها زعموا أنه يراد لإزالة النفوس لمشق الصور المحرمة ونظائرها . وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كمشاهدة الميادين وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة . وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر إلى المحرم . وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبة

فالعلم النافع من هذه العلوم كلها منقطع فنصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتفكير في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث . وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والرهبة . والرفاق . والمعارف . وغير ذلك والاجتهاد على تغيير صحيحه

(١) قال الحافظ ابن الجوزي ولما يشك الميس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المنع الحاصل بالعود فخرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لم وإنها مرادة التدرج من شيء إلى شيء . والفقهاء من نظر في الأسباب والتأثير وأقل المقام

وأعلم أن سماع الغناء يجمع شيئاً أخرجهما أنه يلبي القلب عن التفكير في عظيمة الله سبحانه والقيام بعبادته . والثاني أنه يميل إلى الآذات العاجلة التي تدعو إلى استيقاظها من جميع الشهوات الحسية ومغبتها الكساح وليس تحايل ذاته إلا في المتخيلات ولا سبل إلى كثرة المتخيلات في الملل . ولذلك بحث على الزنا فيين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لغة الروح والزنا أكين لذات النفس . ولهذا جاز في الحديث (الغناء رقية الزنا) قلت وهو أثر لأنه من قول عبد الله ابن مسعود

من بقيه أولا . ثم الاجتهاد على الوقوف في معاليه وتفهمه ثانيا . وفي ذلك كفاية لمن عقل . وشغل لمن بالعلم النافع على واشتغل .

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه أمانه وغداؤه ووقته وسدده وفهمه وأهمه . وحيث يشمله هذا العلم ثمرته الخاصة به . وهي حبة الله كما قال عز وجل (إنما يحشي الله من عباده العلماء) قال ابن مسعود وغيره كفى تحشية الله علما وكفى بالاعتقار بالله جهلا . وقال بعض السلف ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الحشية . وقال بعضهم من حشى الله فهو عالم ومن غصاه فهو جاهل . وكلامهم في هذا المعنى كثير جدا (١) .

(١) من ذلك ما روى عن ابن مسعود أني لأحسب الرجل ليس العلم بالخطبة . أصليا وأن العالم من يحشى الله . ولا قوله تعالى (إنما يحشى الله من عباده العلماء) وعن أبي هريرة . قال تعلموا العلم واعلموا به ولا تعلموه لتعلموا به . قاله يوشك أن طال بك زمان أن يجعل بالعلم كما يجعل الرجل شربة . وقال الحسن البصري يقول الناس في العلم حديث أن يفهمهم في العمل . وقال فضيل بن عياض قال لي ابن المبارك أكثركم علما يعني أن يكون أكثر ذكورا . وقال أيوب السخاوي قال لي أبو قلابة يا أيوب إذا أحدث الله لك علما فأحدث به عاية ولا يكن همك أن تحدث به . وقال ابن وهب عن مالك أنه سمع يقول إن حقا على من طلب الحديث أن يكون ذا وقار وسكينة وخشية وإن يكون متبعا لأخبار من يثق به . وفي الباب من هذا كثير لأن العلوم الشرعية إنما طلبها الشارع من حيث هي وسيلة إلى التبع بها لله تعالى لأمن جهة أخرى والبليل في ذلك من وجه : أحدها أن المسائل التي لا يفتي عليها عمل فائتوس فيها حوض وما لم يدل على استحسانه دليل شرعي لتلك أعرض الشارع عما قصده الشارع

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين . أحدهما على معرفة الله وما يستحقه من الأسما والخصى والصفات الغيبى والأفعال الباهرة . وذلك يستلزم اجلاله واعظامه وخشيته ومهابته ومحبة ورجاءه والثوكل عليه والرجى بقضائه والصبر على بلائه . والأمر الثاني المعرفة بما يحب ويرضاه وما يكرهه ويستخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال فيوجب ذلك لمن علله المارعة إلى ما فيه عبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويستخطه . فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم

من السؤال عن الملائ لم يدور رفيقا في أول السبب كالمخط ثم غلب حتى يصير مدرا ثم يعود إلى حاله الأول بما لا يقيد عملا مكلفا به وبين أن السؤال إنما يكون فيما يترتب عليه فائدة عمل فقال (يسألونك عن الآخرة فلي هي مواقيت الناس وألحج) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لسائل عن الساعة (ما أعدت لها) إعرافا عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها بما فيه فائدة ولم يحج عما سأل عنه . ثانيا أن الشرح إنما جاء بالتعب لأنه المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدل به قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) وقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقوله (ويشرح المؤمنين الذين يعملون الصالحات) . ثالثا ما جاء من الآيات والأحاديث الواردة على أن روح العلم هو العمل والأقوال غير متفجع به وغاية من ذلك قوله تعالى (أنأمروا الناس بالبر وتنهون عنهم) وأنتم تكونون الكتاب لولا تفعلون) وقوله تعالى (وإنه لتو علم لما علناه) قال فائدة يعني ليو عمل ما علناه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تزول قدمي العبد يوم القيامة حتى يسئل عن خمس خصال وذكر فيها . عن عليه ماذا عمل فيه) .

وقال سفيان الثوري إنما يتعلم العلم لينشئ به الله . وإنما فضل العلم على غيره لأنه ينشئ الله به . وغير ذلك مما لا يسعه المقام والله أعلم .

مع قن كان المولى مأموراً وبمقرر في القلب فقد شجع القلب لله وانكسر له
وبذل حبه واجلالاً وخشية وعبادة وتعظيلاً. ومنى شجع القلب لله وذلك
وانكسر له فعبت النفس بسير الخلال من الدنيا وشجعت به فأوجب لها
ذلك التماغة والزهدة في الدنيا. وكان ما هو فان لا يبقى من المال والجاه
واصول العيش التي ينقص به حفظ صاحبه عند الله من نعم الآخرة
وان كان كرمياً على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروى
مرفوعاً. وأوجب ذلك أن يكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة
خاصة. فان سأله أعطاه وان دعاه أجابه كما قال في الحديث الإلهي. ولا
يرى العبد يتقرب الى التوابع حتى أحبه الى قوله فان سألني لأعطينه
ولئن استعاضني لأعبدته. (١) وفي رواية. ولئن دعاني لأحبه. وفي
وصية علي بن أبي طالب. احفظ الله يحفظك احفظ الله تجدد أمانك
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

(١) والحديث رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ قال قال رسول الله
ﷺ ان الله قال من نادى لي ولما قد آتته بالطيب وما تقرب الى عبدي بشي
أحب الي ما اقترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الى التوابع حتى أحبه فلا
أحتسب كنت جمعة التي يسع به ويصبره الذي يصبر به وهذه التي يتطحن بها
ورجله التي يمشي بها. وان سألني لأعطينه ولئن استعاضني لأعبدته وما زلت
من شيء أنا فاعله زهدى من نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته
قال الحافظ بن رجب في شرح الحسن حديثاً وقدرى هذا الحديث من
رجوه آخر لا تخلو كلها عن مقال

قال المؤلف والمراد من هذا أن من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالتواضع
أولاً ثم بالتوابع ثانياً قرب به الى ربه من درجة الاجتنان الى درجة الاحسان

فالمعان في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث
يجده قريباً منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته
وعبدته. ولا يجد ذلك إلا من أطلعه في سره وفلايته. كما قيل لو حبيب
ابن الورود يجد حلاوة الطاعة من عصي قال لا ولا من هم. ومن وجد
العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة. فانما سأله أعطاه
واذا دعاه أجابه كما قالت شجوة الفضل.

والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا. وفي البرزخ. وفي
الموقف فانما كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كقوله الله ذلك كله وهذا هو
المشار اليه في وصية ابن عباس بقوله ﷺ. تعرف الى الله في الرخاء

فصير بعد الله على الخشوع والمراقبة كأنه يراه فيتطهر قلبه بمعرفة الله تعالى
وبحبه وعظمته وخوفه ومهابته واخلاله والانس به والصوف اليه حتى يصير هذا
الشيء في قلبه في المعرفة مشاهدته بعين البصيرة كما قيل

ساكن في القلب بصره است أنباء فأذكره

غاب عن سمع وعين وبصرى صوبها القلب تبصره

قال الفضل بن عياض ان الله تعالى يقول كذب من ادعى بحقي ونام حتى
النس كل محب يحب خلوة عبده ما انا مطلع على أخاي وقد مثولتي بين أعينهم
وحاضرتي على المشاهدة وكلوني بحضور عدا أقر أعينهم في جاني. ولا يزال هذا
الذي في قلوب المحبين المقربين يقوى حتى تمتلئ قلوبهم به فلا يبقى في قلوبهم غيره
ولا تستطيع جوارحهم أن تنبعت الا بمواصلة ما في قلوبهم ومن كان حاله هكذا
قل فيه ما في قلبه الا الله. والمراد معرفة وبحبه وذكره غبطة لا ينطق العبد
الا بدعائه ولا يتحرك الا بأمره ولا يعمل الا بالسنة ولا يشغل الا بعلم
الكتاب والحديث فان نفس تطيق بالله وان سمع سمع به وان نظر نظر به وان

يعرفك في الشدة، وقيل لمعرف ما الذي هيجك الى الانقطاع وذكر له الموت والقر والموقف والجنة والنار. فقال ان ملكا هذا كله بيده كانت بينك وبين معرفة كفاك هذا كله. فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحدته وأنس به واستحي من قرينه. وعنده كانه يراه.

وهذا قالت طائفة من الصحابة إن أول علم يرفع من الناس الخشوع. وقال ابن مسعود إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه فضع. وقال الحسن العلم عتقان فعمل على السان فذلك حجة الله على ابن آدم. وعلم في القلب فذاك العلم النافع. وكان السلف يقولون إن العلم ثلاثة. علم بالله عالم بأمر الله. وعلم بالله ليس بعالم بأمره. وعلم بالله ليس يعلم بالله وأكملهم الأول وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه.

فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه فإذا عرف ربه

بطلت بطشه. فهذا هو المراد بقوله كنت سمعته الذي يسمع به ويصغره الذي يصغره. ومن أشار الى غير هذا فاما يشير الى الاتحاد من الحلول والاتحاد. والله ورسوله بريان منه. وقوله وإن سألني لأعطينه الخ يعني أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة يختص الله اذا سأل الله شيئا أعطاه إياه. وإذا استأذنه من شيء أعطاه منه وإن دعاه أجابه فغير محاب الدعوة لتكرامته على الله تعالى. ولذلك كان كثير من السلف معروفًا بإجابة الدعوة منهم البراء بن مالك. والعباس بن. وول وأويس القرني وغيرهم فعلم الله بهم ومعدنا للعلم والعمل.

فقد وجدته قريبا (١). وعني وجدته قريبا قرينه اليه وأجاب دعاه كما في الاثر الاسرائيلي. ابن آدم أطلقني تجدي فإن وجدتني وجدت كل شيء. وإن فلك فأتاك كل شيء. وأنا أحب إليك من كل شيء. وكان ذو النون يردد هذه الايات بالليل.

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا

قد وجدت لي سكناً ليس في هواه عتاً

إن بعدت قريني أو قربت منه دنا

وقال الإمام أحمد رحمه الله يقول أصل العلم خشية الله (٢). فأصل العلم العلم بالله الذي يوجب خشية ومحبة والتقرب.

(١) لأن السالك الى ربه لا يزال معه عاكفة على است فراغ القلب وصدق الحب. وبذلك المهد في امثال الامر الثاقبين عن المعرفة فلا يزال كذلك حتى يتقرب على سره شواهد معرفته وآثار صفاته وأسمائه. ولا يزال تلك الشواهد تتكرر وتزداد حتى تستقر ويصنع بها قلبه حتى تحصل له منزلة اقربا تعالى في الحديث القدسي (كنت سمعته الذي يسمع به ويصغره الذي يصغره) فقل طالب الآخرة ان يستمر في طلب محبة حبيبه له بأنواع التقرب اليه. فيشغل لسانه بالذكر وتلاوة كلام حبيبه. وقلبه بالخوف والرجاء. والانتابة. والتوكل وجوارحه بالطاعات.

(٢) وجدت عليها التفكير في الموجودات التي يحياها الله فلا تصار والخصائر والاستعجال بما يقرب اليه جل وعلا عملا بقوله تعالى في حق من أحسن عمله (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسجار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم أنفلا تبصرون)

قال انه عالم فهو جاهل ومن قال انه مؤمن فهو كافر ومن قال هو في الجنة فهو في النار .

ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والالتقياد اليه والتكبر على من يقول الحق خصوصاً ان كان دونهم في عين الناس . والاصرار على الباطل خفية تفرق قلوب الناس عنهم بالظهور الرجوع الى الحق وربما اظهروا بالنسبة ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الاشهاد ليعتقد الناس فيهم انهم عند أنفسهم متواضعون فيبدحون بذلك وهو من دقائق أبواب الرياء كما انه عليه السالكون من بعدهم من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه مما يتلقى الصديق والاخلاص فان الصادق يخالف الظاهر على نفسه ويحشي على نفسه من سوء الحظاءة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستجلابه (١) .

(١) قال العلامة شهاب الدين المعروف بان أي شامة كان العلماء من السلف الصالح أهل لبك وعبادة وورع وورعانة . أرفعوا الله تعالى بجلهم وجاؤوا العلم فضائلهم . وتودعوا من الاعمال الصالحة بما ذاتهم ولم ينسبهم الخرس على الدنيا وخسمة أهلها بل أقبلوا على طاعة الله التي حظوا لاجلها فأولئك هم الذين غام الناس خبره ما أحد أرغى لحقه من الفقهاء وفي رواية ان لم يكن الفقهاء أولئك الله في الآخرة فإله ولي . قال ابن عباس لو أن العلماء أخذوا العلم بحقه لأحبههم الله والملائكة والصالحون من عباده ولما بهم الناس للفضل العلم وشرفه وكانت الفقهاء فيما خلا يحلون العلم ويحسنون ملة فاحتاجت إليهم الملوك وأهل الدنيا ورعوا في عنهم فلما كان بأجرة كثرت العلماء أخذوا العلم على محسونا حلة فطرحوا عليهم على الملوك وأهل الدنيا فامتسروهم واحتقروهم . قال وهب ابن منة كان العلماء قبلما قد استنوا بعلومهم عن دنيا غيرهم فكانوا لا يفتنون الى

فهذا كان من علامات أهل العلم النافع انهم لا يبرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد . قال الحسن انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراض في الآخرة الصبر بدينه المواظب على عبادة ربه . وفي رواية عنه قال الذي لا يجد من فوقه ولا يستخر من دونه . ولا يأخذ على علم عليه الله أجرأ . وهذا الكلام الأخير قد روي معناه عن ابن عمر من قوله وأهل العلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعاً لله وخشية وانتكاساً ودلالة . قال بعض السلف ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه (١) تواضعاً

دنياهم وكان أهل الدنيا يدلون دنياهم في علمهم فأصبح أهل العلم ما اليوم يفتنون لأهل الدنيا عليهم رقة في دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد رعدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم . فانظر أيها الطالب الى كلام هذا الامام وبيننا وبينه فروق عديدة من الزمن فما بالك بزماننا الان اللهم جنبنا طريقة قوم لم يقوموا بحج العلم وأزادوا به السباو أخربتنا عما هم في الآخرة من الدرجات العلى فليسوا بحلاوة . ولم يستغنوا بفضائله بل خلقت بينهم دنياجه ورثت حاله . واجعلنا من عرف بمقداره من السلف والتابعين وتابعيهم فانهم أخذوا العلم ففطنوه وبخلوه ووفروه . واستنوا بهودأوه بعد المرة أهل ما على الشر واحتقروا في حبه كل منسخر ومسكوا بقوله تعالى (فما أتاكم الله خبراً مما أتاكم) وكيف لا يكون علمهم كذلك . والعلم حياة والجهل موت فليهما كما بين الحياة والموت وما أحسن قول الشاعر .

وقال الجهل قبل الموت موت لأملة وأجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحج العلم ميت وليس له حق الشور فخور
(١) هذا كناية عن كمال التواضع ونهاية الخشوع والانتكاس رقة جل وعلا
والا فوضع التراب على الرأس حقيقة غير متبروع .

لرب ما كان ازداً حلاً بربه ومعرفة به ازادته خشية ومحبة وازداد له
علا والتمسكاً ومن علامات العلم النافع انه يدل صاحبه على الحرب
من الدنيا وأعظمها الرئاسة والشرعة والمذبح فالتمسك عن ذلك والاجتهاد
في محابته من علامات العلم النافع فإذا وقع شيء من ذلك من غير قصد
واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته بحيث أنه يخشى أن
يكون مكرراً واسترجاحاً كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند
اشتهار اسمه وعند صيته

ومن علامات العلم النافع ان صاحبه لا يدعى للعلم ولا يقتر به على
أحد ولا ينسب غيره الى الجمل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم
فيه غضباً لا غضباً لنفس ولا قصداً لرخصتها على أحد
وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس (١)
وأما فضل علمه عليهم ونسبهم الى الجهل وتقصيرهم ليرفع بذلك عليهم
وهذا من أفعى الخصال وأرداها

(١) وما نزل ذلك عليهم إلا من اخر اصهم عن الاشتغال بعلوم الكتاب
والسنة وأخدم بالرأي وتبع الثقالين والتعصب لما وقد تخلفوا الامر حتى صار
كثير من الناس لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون أن ما هم عليه
هو الذي ينبغي عليه المواظبة فبدلوا بالطيب خبيثاً وبالخلق باطلاً ومشتربوا
الضلالة بالهدى فارتفعت تعاليمهم وما كانوا مهتدين ولولوا نظرنا الى كلام السلف
في ذلك وعلمهم وانصروا بهم لتجسروا وانزعوا الى أعلى طبعهم واستطاعوا بعلمهم
عن أبناء الدنيا ومور الامر والسلاطين وهلك بعض كلام العلماء العاملين في
ذلك روى الشيخ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: يا أيكم وأحب
الرأي قالمهم أعلم السن أحبهم الا حاديت أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلتها

وربما نسب من كان قبله من العلماء الى الجهل والغفلة والسوء فيوجب
له حب نفسه وحب ظهورها احسان فتنها وامانة فتنه من سلفه
وأهل العلم النافع على عند هذا يتقنون الظن بأنفسهم ويحسنون الظن
بمن سلف من العلماء ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم
ويعجزون عن بلوغ غيراتهم والوصول اليها أو مقارنتها وما أحسن قول
أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والاسود أيهما أفضل فقال والله ما نحن
بأهل أن نذكرهم فكيف نفضل بينهم وكان ابن المبارك إذا ذكر أخلاق
من سلفه ينشد

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح اذا مضى فلتقدم
ومن علمه غير نافع اذا رأى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال
وتشقق الكلام ظن لنفسه عليهم فضلاً في العلوم أو البرعة عند الله
لفضل خص به عن سبق فاحقر من تقدمه واجترأ عليه بقلة العلم ولا

وأجلوا وقال أيضاً اذا جازك الخبر عن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم
لفضله على رأسك وإذا جازك عن التابعين فاضرب به أعقابهم وقال عمر بن
الخطاب اتبعوا الرأي على الدين وقال عبد الله بن مسعود: يحدث قوم يقيسون
الامور برأيهم فهمم الاسلام وللسلف في ذلك كلام كثير رضي الله عنهم
وما أحسن قول الشاعر حيث قال

تجرب ركوب الرأي قال أبو ربيعة عليك بأثر النبي محمد
فمن ركب الأراءيم عن الهدى ومن تبع الآثار بهد وحيد
وقال بعضهم في ذلك

الظرب من الهدى ان كنت ذا نظر فاعا العلم متى على الآثر
لا ترض غير رسول الله متبعاً ما دمت تقدر في حكم على غير

يُعلم المسكين أن قلة كلام من سلك إنما كان ورعاً وخشية لله ولو أراد الكلام وإعماله لما عجز عن ذلك كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتنازعون في الدين أما علمتم أن الله عباداً أسكتهم خشية الله من غير عي ولا بكم وأنهم لم يعمدوا والفصحاء والطالحين والنساء العلماء بأيام الله غير أنهم إذا تذكروا عظيمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استغاثوا من ذلك يسارعون إلى الله بالأعمال الزاكية يفتدون أنفسهم مع المفرطين وأنهم لا يكياس أقوياء ومع الظالمين والمخاطئين وأنهم لا يزار برأ إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالأعمال ثم حياءً لأنفسهم متهمون مشفقون وجنون حاكمون خرجوا بأوقعيهم وغيره . وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال الحياء والحياء شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق . وخرجه الترمذي . وخرجه الحاكم وصححه (١) . وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال . البيان من الله والحي من الشيطان وليس البيان بكثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق وليس العي قلة الكلام ولكن من سغه الحق . وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ قال ثلاث ينقصهن العبد في الدنيا ويرزقهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك . الرحم

(١) ورواه في مستدركه عن أبي أمامة الباهلي وقال في آخره هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . والحي قال صاحب مجمع البحار هو الحيور في الكلام ولزاد ما كان يسبب التأمل في المقال . والحيور هو الرمال لا تغفل في الشئ : والبداء بالمداخلة في القول . والبيان المعلوم تقدم الكلام عليه واجبة

والحياء وعي الشأن . قال عون بن عبد الله ثلاث من الإيمان الحياء والعفاف والحي على اللسان لا عي القلب ولا عي العمل ومن ما يزدون في الآخرة وينقصون في الدنيا وما يزدون في الآخرة أكبر مما ينقصون في الدنيا . وروى هذا مرفوعاً من وجه ضعيف .

وقال بعض السلف أن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عيا وما به من عي أنه لثقيف مسلم . فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما يكتبونه من ضروب الكلام وثمرته الجدال والخصام والزادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً وإنما كان ورعاً وخشية لله واستغلاً عما لا ينفع بما ينفع . وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه . وفي تفسير القرآن والحديث وفي الزهد والرفائق . والحكم والمواعظ . وغير ذلك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجidal والغيل والقال . فإن اعترف لهم بالفضل . وعلى نفسه بالنقص فإن حاله قريباً . وقد قال إياس بن معاوية ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحق قيل له فما عيبك قال كثرة الكلام . وإن ادعى لنفسه الفضل ولم ينسب نفسه للنقص والجهل فقد ضل ضلالاً مبيناً وحسراً خسراناً عظيماً .

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرعى الإنسان لنفسه أن يكون عالماً عند الله أو لا يرعى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالماً فإن رعى بالآخر . فليكتف بعلم الله فيه . ومن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله إياه . ومن لم يرع إلا بأن يكون عالماً عند الناس دخل

في قوله **وَيُطَهِّرُهُم** من طلب العلم لينتهي به العلماء أو يمارى به السلفاء أو
يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوا مقصده من النار .
قال وهيب بن الورد رب عالم يقول له الناس عالم وهو محدود عند
الله من الجاهلين . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي **ﷺ** . ان
أول من تسع به النار ثلاثة أحدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو
قارئ . وهو عالم ويقال له قد قيل ذلك ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى
ألقى في النار . فان لم تنفع نفسه بذلك حتى تصل الى درجة الحكم بين الناس
حيث كان أهل الزمان لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يفتنون
إليه فقد استقبل الله هو أدنى والذي هو خير وأثقل من درجة العلماء
الى درجة الطلبة .

ولذا قال بعض السلف لما أريد على القضاء فأباه انما تعلمت العلم
لا أشر به مع الانبياء لا مع الملوك فان العلماء يحشرون مع الانبياء
والقضاة يحشرون مع الملوك . ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل
به الى راحة حلوة فان جزع ولم يصبر فهو كالكال ابن المبارك . من
صبر فما أقل ما يصبر ومن جزع فما أقل ما ينفع . وكانت الامام
الشافعي رحمه الله يتشد :

يا حسن ما هي الا صبر أيام كأن مدتها أضغاث أحلام

يا حسن جودي عن الدنيا مبادرة وخل غلبا فان العيش قدامي

فلسأل الله تعالى علماً فافماً ونعوذ به من علم لا ينفع . ومن قلب

لا يخشع . ومن نفس لا تسبح . ومن دعاء لا يسبح . اللهم انما نعوذ بك

من هؤلاء الأربعة اخذ الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم آمين .

(فصل) ليتنبى ما ذم الله به أهل الكتاب من قسوة القلوب بعد
ايمانهم الكتاب ومشاهدتهم الآيات كاحياء القليل المضروب ببعض
البقرة . ثم تنبى عن التشبه بهم في ذلك . قيل لنا (ألم بأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد قصت قلوبهم وكثير منهم فاسقون)
(١) وبين في موضع آخر سب قسوة قلوبهم فقال سبحانه (فيما نقصهم

(١) قال ابن كثير هذه الآية نزلت في المؤمنين على ما روى عن ابن عباس
أنه قال ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فبعثهم على رأس ثلاث عشرة سنة من
نزول القرآن . قال الزجاج نزلت في طائفة من المؤمنين حشوا على الرقة والحشوع
وروى مسلم والنسائي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ما كان بين
اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين . وأخرج من هذا ما رواه
البراري مسنده فذكره . قال حفيان الثوري عن المسعودي عن القاسم قال حل
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مئة فقالوا احذنا يا رسول الله فأقول
الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال ثم ملوا مئة فظلموا احذنا
يا رسول الله فأقول الله تعالى (ألم بأن الذين آمنوا أن تخشع) الآية أي أما أن
للمؤمنين أن تخشع قلوبهم وتلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فقبهه
وتضاده وطبعه وبعدهم الذكر خشوعاً وركعة (ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد قصت قلوبهم) . نهي الله تعالى المؤمنين
أن يشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تناولوا
عليهم الأمد أي الزمان بينهم وبين انبيائهم بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم
واشتروا به ثمناً قليلاً وبندوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأحوال
المؤشكة وقتلوا الرجال في دين الله وأخذوا أجارهم ودهانهم ارباباً من دون
الله فقص ذلك قصت قلوبهم فلا يشعرون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيده

ميتا لهم لتمام وجعلنا قلوبهم قاسية) فأخبر أن قسوة قلوبهم كان عقوبة لهم على تقصيرهم ميثاق الله وهو مخالفتهم لأمره وإرتكابهم لنبيه بعد أن أخذ عليهم موافقة إله وعهوده أن لا يفعلوا ذلك - ثم قال تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به)

فذكر أن قسوة قلوبهم أوجبت لهم خصلتين مذمومتين - أحدهما تحريف الكلم من بعد مواضعه - والثانية نسيانهم حظاً مما ذكروا به - والمراد تركهم وإهمالهم نصياً ما ذكروا به من الحكمة ، والموعظة الحسنة فنسوا ذلك وتركوا العمل به وأهملوه .

وكثير منهم فاستقروا في الأعمال قلوبهم قاسية وأعظم باطلة كما قال تعالى (فما قصهم ميتا لهم لتمام وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) أي قسدت قلوبهم قسوت وصار من سجيبتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها وأرتكبوا ما نهاوا عنه - ولهذا سمى الله المؤمنين أن ينشئوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية .

ومن أحسن بقسوة في قلبه وجود في فهمه ومثل في جسده فليخرج إلى ذكر الله عز وجل وتلاوة كتابه والتفكير في معاني أحاديث نبيه ﷺ يرجع إليه حاله ويطيع له قلبه ويتفاد إليه نفسه كما أشار تعالى عقب الآية المتقدمة (اعلموا أن الله يحيي الأرواح بعد موتها) قال ابن كثير فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحياض بعد ضللتها ويخرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة المأمدة بالغيث النبات الوابل كذلك يهدي القلوب الناسبة براهين القرآن والدلائل ويوصل فيها النور بعد الضلال - والمفضل لمن أراد بعد الكمال الذي هو لما يشاء فقال - وهو الحكيم العدل الفعال اللطيف الخبير الكبير المتعال .

وهذان الأمران موجودان في الذين قسوا من عدائنا لمشابهم لأهل الكتاب . أحدهما تحريف فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل بل بتحريف الكلم وحرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها - والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستعمدة ونحو ذلك ، والطن في ألفاظ السن حيث لم يمكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب - ويدعون من تمسك بالنصوص وأجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلاً أو حوداً .

وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات وفي فقهاء الرأي - وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين - والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تنعظ قلوبهم بل يذمون من تعلم ما يبيكه ويرى به قلبه ويسمونه قاصاً .

ونقل أهل الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم أن ثمرات العلوم تدل على شرفها - فمن اشتغل بالتفسير فغايته أن يقص على الناس ويذكرهم - ومن اشتغل برأيهم وعلمهم فإنه يقضي ويحكم ويدرس وهؤلاء لهم نصيب من الذين (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون) والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وطولها ولو أنهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ونصروا أنفسهم وعباد الله لتسكروا بما أنزل الله على رسوله - وألزموا الناس بذلك - فكان الناس حينئذ أكرمهم لا يخرجون عن التقوى فكان يكفهم ما في نصوص الكتاب والسنة ومن خرج منهم عنهما كان قليلاً - فكان الله يقص من يفهم من معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها إلى الرجوع إليها ويستغنى بذلك عما ولدوه من الفروع الباطنة ، والحيل المحرمة التي يسبها

فتحت أبواب الرزق وغيره من المحرمات واستحلح محارم الله يادى
الحيل كما فعل أهل الكتاب (وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
من الحق ناذر) والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وحبينا الله
ونعم الوكيل) (تم والمحمد لله)

فهرس كتاب فضل علم السلف على الخلف

حجفة

حجفة

- ٢ حجة المؤلف
- ٣ قصة آدم مع الملائكة وقوله تعالى (اتخلف فيها من يفسد فيها) الآية
- ٤ قصة موسى عليه السلام مع الخضر ويان خطأ من فهم من الآية أن الشيخ المربي يسلم له حالة
- ٥ تفسير قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) الآية
- ٦ تفسير قوله تعالى (واتل عليهم نيا الذي) الآية
- ٧ تأويل قوله جل وعلا (فتخلف من بعدهم خلف) الآية
- ٨ تقسيم العلم الى نافع وغير نافع
- ٩ بيان معنى أهود بالله
- ١٠ حجة المؤلف
- ١١ قصة آدم مع الملائكة وقوله تعالى (اتخلف فيها من يفسد فيها) الآية
- ١٢ قصة موسى عليه السلام مع الخضر ويان خطأ من فهم من الآية أن الشيخ المربي يسلم له حالة
- ١٣ تفسير قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) الآية
- ١٤ تفسير قوله تعالى (واتل عليهم نيا الذي) الآية
- ١٥ تأويل قوله جل وعلا (فتخلف من بعدهم خلف) الآية
- ١٦ تقسيم العلم الى نافع وغير نافع
- ١٧ بيان معنى أهود بالله
- ١٨ حجة المؤلف
- ١٩ قصة آدم مع الملائكة وقوله تعالى (اتخلف فيها من يفسد فيها) الآية
- ٢٠ قصة موسى عليه السلام مع الخضر ويان خطأ من فهم من الآية أن الشيخ المربي يسلم له حالة
- ٢١ تفسير قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) الآية
- ٢٢ تفسير قوله تعالى (واتل عليهم نيا الذي) الآية
- ٢٣ تأويل قوله جل وعلا (فتخلف من بعدهم خلف) الآية
- ٢٤ تقسيم العلم الى نافع وغير نافع
- ٢٥ بيان معنى أهود بالله

حجفة

حجفة

- ١ العلوم التي لا تفيد عملا مكلفا به
- ٢ بيان أن ما أحدث بعد الصحابة من العلوم بدعة منهي عنها
- ٣ النهي عن الجدال والمراء وذكر الاحاديث الدالة على ذلك
- ٤ النهي عن الخوض في القدر ويان ما أحدثه المعتزلة من الكلام في ذات الله وصفاته
- ٥ الكلام على الاستواء ومعنى نفى الاستواء عند علماء السلف هو الاسلم والاولى والاعلم
- ٦ بيان أن نفى الاستواء هو مذهب المعتزلة والجمعية
- ٧ ترجمة الامام ابن المبارك
- ٨ ترجمة الامام أبي عبيدة الثوري
- ٩ بيان طريقة السلف وعلمهم
- ١٠ بيان أن عمل أهل المدينة هل هو حجة أم لا ويان مذهب الامام مالك في ذلك ليس كما فهمه المالكية
- ١١ بيان أن الأكثر في المسائل مذموم والأدلة في ذلك تفسير أغلوطات المسائل
- ١٢ كلام مالك في العلم ويان سيره
- ١٣ بيان قوله عليه السلام ان من البيان سحرا
- ١٤ سحرا وأنه ذم للبيان لا مدح له
- ١٥ بيان معنى قوله عليه السلام ان الله ليسغى التلغ من الرجال وترجمة الامام الاوزاعي رضى الله عنه
- ١٦ ترجمة الامام الليث عالم الديار المصرية وتناء العلماء عليه
- ١٧ كلام الأئمة في وصف الصحابة ويان أن من كثر علمه وقل قوله هو المدح ومن كان بالعكس فهو المذموم
- ١٨ بيان أن أفضل العلوم في الحلال والحرام ما كانت مأثورا عن الصحابة والتابعين وتابعهم الى زمن أئمة الاسلام كالثوري والاوزاعي والشافعي وغيرهم
- ١٩ بيان أن سنة الصحابة يقتضى بها ويرجع اليها وأدلة ذلك من وجوه
- ٢٠ بيان أن من لم يأخذ العلم من كلام الصحابة والتابعين يقع في كثير من الباطل
- ٢١ بيان أن العلم ما جاب به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما كان غير ذلك فليس بعلم

صحيفة

- ٣٢ عدم حجة سؤال من لا يعتبر في
الشريعة قوله وبناؤه
٣٣ كلام الاتمة في علم الكلام ودم
السلف والخلف له
٣٤ بيان ان الكلام في العلوم الناطقة
من المعارف وأعمال القلوب
وتوابع ذلك غدت لا أصل له
في الدين
٣٤ كلام الامام الجيد رئيس طائفة
الصافية في علم التصوف
٣٥ بيان ما أدخل في الطريق من
البدع كالفتن والرقص الخ
٣٥ بيان العلم النافع من هذه العلوم
كلها وبيان ثمرة العلم
٣٧ بيان ان العلم النافع يدل على أمرين
٣٨ معنى قوله تعالى في الحديث
القبسي ولا يزال عدو يتقرب
الي بالموال الخ
٣٩ بيان ان من عصى لا ينجى من ملاوة
الطاغية ولا من م
٤١ بيان ثمرة المال الى ربه
٤٢ بيان من كان عليه مغفول لا من
الكتاب والسنة

صحيفة

- ٤٣ علامات طالب العلم لغير الله
وبيان أن علمه غير نافع
٤٤ كلام العلامة ابن أبي شامة في
علماء السلف
٤٥ علامات العلم النافع
٤٥ بيان انحطاط أهل هذا الزمان
من حيث العلم
٤٨ بيان ان كثرة الكلام وشغفته
اللسان ليس من العلم وليس العي
قلة الكلام ولكن من سفة الحق
٤٩ بيان ان من سلك سبيل السلف
فقد اقتضى ومن سلك غير
سبيلهم فقد ضل عن الصواب
٥٠ كلام الامام الشافعي في الصبر
٥١ تفسير قوله تعالى (ألم يأت
للذين آمنوا) الآية
٥١ ذم أهل الكتاب بسبب قسوة
لوبهم
٥٢ بيان ان ذم أهل قسوة القلوب
بتلاوة القرآن وتدبر السنة
٥٣ فساد علماء زماننا بسبب مشاغلهم
لاهل الكتاب وهو عجمة الرسالة
(تمت الفهرست)

تطلب هذه الكتب وخلافها من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر
 لصاحبها محمود علي صبيح — صندوق بوسته رقم (٥٠٥) مصر
 ترسل هذه الاصناف وغيرها لمن يرسل الثمن مقدماً لكل الجهات
 ملهم قرش الثمن بحساب القرش الصاغ المصرى والجنيه الانجليزي ٩٧

- ٢٥ م بارق الازهار في شرح مشارق الانوار للصفاي جزء ٢
- ٣ مفتاح الجنة بالاحتجاج بالسنة للسيوطي
- ٣ فضل علم السلف على الخلف للشيخ رجب
- ٢٥ مختار الامام مسلم مشكول ومشروح جزء ٢
- ١٥ شرح شرعه الاسلام المسمى مفاتيح الجنان لعلي زاده مع جملة رسائل اخرى
- ٤ الاوائل السنبليه لكتب الحديث ومعه بقيه اهل الاثر
- ٤٠ امالي الشريف المرتضى في الحديث والتفسير والادب جزء ٤
- ٠٦ تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث
- ١٥ تأويل مختلف الحديث للامام ابن قتيبة الدينوري
- ٠٦ ثلاث رسائل لنجل الامير عبد القادر حديث وتفسير وغيره
- ٠٥ الدعامة في احكام العمامة والشارب واللحية واللباس للكتاني
- ١٠ الشرح الكبير على الجامع الصغير للناوي والعلقمي (اول) فقط
- ٠٦ مشارق الانوار ٢٢٥٣ حديثاً من البخاري ومسلم للصفاي
- ٤٠ النهاية في غريب الحديث لابن الاثير وبها غريب القرآن للراغب الاصفهاني
- ٠٥ الهبات البيئات في كشف أربع أربعينات من الحديث
- ٠٨ أصابة السهام بالعمل بسنة خير الانام للشيخ خطاب السبكي
- ٠٥ تحفه الانوار نظم شمائل المختار لمولاي عبد الحفيظ
- ١٥ الشفا بتعريف حقوق المصطفى مشكول للقاضي عياض مجلد
- ٤٥ شرح الشفا للخضاعي ٤ و ٣٥ شرحه للملا على جزء ٢
- ٠٢ منح المنه في التمسك بالشريعة والسنة للامام الشعراني طبعه حديثه

اطلبوا فهرست (قائمة) المكتبة فيها أسماء الكتب وأثمانها ترسل بجانا لكل طالب